Journal of Engineering Sciences
Assiut University
Faculty of Engineering
Vol. 46
No. 4
July 2018
PP. 476 – 486

تحول الهوية العمرانية في المدينة العربية القديمة (دراسة حالة مدينة حلب – سورية)

نهى عبد الحميد كيالي، هانئ لويس عطا الله، داليا عبد المنعم عثمان

كلية الفنون الجميلة – جامعة حلوان

Received 30 April 2018; Accepted 8 May 2018

ملخص البحث

امتازت المدن العربية قديماً بهوية قوية وملامح عمرانية ومعمارية فريدة ولازالت حتى اليوم بعض هذه السمات المتميزة في عمارة وعمران ظاهرة في النسيج التاريخي من المدينة تطبعه بطابع خاص هو ثمرة تكاملها مع البيئة الطبيعية والثقافية. ولأن التحولات السريعة في أنماط الحياة بإمكانها تغيير التشكيل العمراني، والتأثير على هذا النسيج التاريخي الذي يعد أساساً ثرياً وحصيلة غنية من المباني التاريخية، فإن التغييرات ومشاريع التطوير وإعادة الإعمار تشكل خطراً على هوية المدينة. ويهدف هذا البحث لرصد كل من مظاهر تغير الهوية العمرانية في مدينة حلب عبر الزمن وأثر التدخلات الحديثة عليها، وذلك عن طريق ملاحظة التطور العمراني للمدينة وتحليل التغيرات في خصائصها وملامحها من أجل الوصول إلى أسباب التحول في الهوية العمرانية.

الكلمات المفتاحية: الهوية العمرانية – العمارة العربية – التراث المبني – التحولات العمرانية – الطراز المعماري - النسيج العمراني.

1. مقدمة

تميزت التجمعات السكانية منذ ظهورها بخصائص فريدة تختلف من منطقة لأخرى تبعاً لاختلاف ظروف واحتياجات وعادات سكانها ووفقاً للبيئة الطبيعية التي تحيط بهم، ومع تطور هذه المجتمعات واحتكاكها بغيرها من الحضارات بدأت بعض الخصائص الجديدة بالظهور وأصبح لكل حضارة هوية مميزة هي نتاج تفاعلها مع مقوماتها الطبيعية والثقافية، وكان الطابع العمراني والمعماري للمدن هو الذي يعبر عن تلك الهوية الفريدة. والمدن العربية هي مثال واضح وقوي على إبداع عمراني ومعماري كان تلبية لظروف البيئة الطبيعية القاسية وخصوصية المجتمع العربي، تجلى هذا الإبداع فيها قديماً بملامح وخصائص ومقومات تفردت بها على مر العصور، ولكن الذي ينظر إلى حال هذه المدن اليوم يلاحظ غياب كل ذلك، حيث حل النسخ والتقليد الأعمى محل الإبداع، وشيئاً فشيئاً اضمحلت مقومات الهوية العربية فيها.

ولذلك يحاول البحث تفسير هذه الظاهرة عن طريق البحث في الأسباب التي أدت إلى تغييرات في الهوية العمرانية للمدن العربية القديمة.

1.1. إشكالية البحث

تعود المدن العربية في نشأتها وتطورها إلى تاريخ بعيد حيث تشكلت من خلال تفاعل مجموعة من العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، صاغت في النهاية ملامح محددة أعطت المدينة العربية طابعها المتميز وخلفت تراثاً حضارياً يعد سجلاً حياً يروي قصة كل حقبة من تاريخها.

ولكن منذ دخول الاستعمار إلى هذه المدن بدأت الملامح المميزة تختفي شيئاً فشيئاً، كون المستعمر فرض على المدينة ثقافته وغير فيها عن طريق مخططات المدن التي وضعها مخططوه. وحتى بعد الاستقلال انساقت معظم المدن العربية وراء التيارات العمرانية والمعمارية الغربية، كما أن تهميش دور المخططين والتشريعات العمرانية أدى إلى ظهور العشوائيات وتدهور حال معظم هذه المدن، حيث فقدت جزءاً كبيراً من إرثها الحضاري واحتضنت أساليب تخطيطية ومعمارية غير متوافقة مع البيئة الطبيعية والاجتماعية فيها. ولهذا يسلط البحث الضوء على هذه المشكلة، والممارسات التي أدت إلى ظهورها وتفاقمها.

1.1. هدف البحث

يهدف البحث إلى رصد مشكلة الهوية العمرانية في المدن العربية عامة. كما يركز بشكل خاص على رصد مظاهر وأسباب التحول في الهوية العمرانية لمدينة حلب، من أجل استخلاص الدروس لتجنب الوقوع بنفس الأخطاء التي تؤثر سلباً على هوية المدينة لا سيما في عمليات إعادة إعمار التي ستشهدها بعد الحرب.

2.1. منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع وتحليل المعلومات والبيانات المتعلقة بمشكلة الهوية العمرانية في المدن العربية، كما يعتمد على المنهج التحليلي في رصد مظاهر التغير في هوية مدينة حلب عن طريق مقارنة المخططات القديمة والحالية للمدينة، والتحليل الوصفي لمظاهر التحول وربطها بالممارسات التي سببت هذه التغيرات.

2. مشكلة الهوية العمرانية في المدن العربية

من الجلي أن المشهد العمراني في وطننا العربي اليوم يعاني من انفصال تاريخي وضياع وعدم تجانس في السمات العمرانية والمعمارية. ويعاني قاطنوه من غربة فكرية وثقافية واجتماعية، واغتراب عن أوطانهم وبيئاتهم المبنية التي لم تعد تستجيب لاحتياجاتهم وظروفهم المحلية كما كانت سابقاً.

1.2. مفهوم الهوية العمرانية

عند الحديث عن الهوية العمرانية يمكننا القول أنها تلك الخصائص المشتركة الفريدة التي تميز مقومات العمران وتعكس قيم وثقافة المجتمع، كالمباني والشوارع والفراغات العامة وعناصر التصميم العمراني (سواء كانت طبيعية كالأشجار والنباتات أم صناعية) والنشاطات البشرية المختلفة. بالإضافة إلى كل من التراث المبني وعلامات الموقع بصفتهما أساس الذاكرة الجماعية، وغير ذلك من كل ما يرتبط بوجدان وإدراك وهوية الأفراد، ويعزز انتمائهم للمكان، كما هو موضح في **شكل (1).**

شكل(1): أهم عناصر التعبير عن الهوية في العمران.

2.2. ملامح مشكلة الهوية في المدن العربية

بالنظر إلى المدن العربية يمكن ملاحظة أن العمارة العربية بدأت تفقد خصائصها المميزة في نهايات فترة الحكم العثماني حيث بدأ التوجه نحو العمارة الغربية وبدأت أوائل الأبنية الطابقية في الظهور وبالرغم من كون هذه التبدلات على نطاق محدود إلا أنها كانت خطوة على أول الطريق. ومن ثم خضعت معظم الدول العربية لحكم استعماري مستبد فرض شخصيته وهويته الثقافية على مختلف نواحي الحياة في الوطن العربي.

فقد قطع الاحتلال الاستعماري التطور الطبيعي للمدن العربية وفرض على تنظيماً مدينياً مستورداً صممه المخططون الذين جاؤوا معه. وعانت المدن العربية من نكسات كبيرة منذ بداية القرن الثامن عشر، وبحلول أوائل القرن الماضي، سلبت هوية هذه المدن وحلت محلها ثقافات أخرى.

ومن ملامح هذه المشكلة أن معظم المدن والبلدات العربية قد شيدت فيها مبانٍ جديدة مستنسخة من أماكن مختلفة في العالم بتغييرات طفيفة لا تكاد تذكر. وبدأت الملامح المعمارية والعمرانية لهذه المدن تتبدل تبدلاً كلياً، فأصبحنا نرى واجهات الزجاج الكبيرة، والاستخدام المفرط للمواد الزخرفية والعناصر التزيينية المستوردة واختفاء معظم سمات العمارة المحلية الملائمة لطبيعة المنطقة جغرافياً واجتماعياً، كالفناء مثلاً، بالإضافة إلى انتشار المباني الشاهقة والزجاجية دون مراعاة النسيج العمراني القائم. ولهذا فإن معظم المدن العربية تعاني من حاليا مشاكل على صعيد بنيتها الفيزيائية وعلى الصعيد الاجتماعي. ويمكن أن يعزى ذلك إلى التغيرات التي حدثت في وسط المدينة منذ وقت ليس ببعيد. فبدراسة واقع العمارة المعاصرة نلاحظ غياب التكامل بين الناس والبيئة التي يعيشون فيها، وتهميشاً كبيراً لقيم البساطة و الجمال التي تمليها البيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية. وتحول التصميم المعماري والعمراني من عملية إبداعية إلى عملية "النسخ واللصق"،حيث أدخلت كآلية ثقافية، تقوم على اقتطاع الأفكار من سياقها الثقافي الأصلي، ولصقها كما هي في السياق العربي الجديد [3].

ومن أسباب هذه الظاهرة أيضاً غياب المبادرة من قبل خبراء تخطيط المدن والتشريعات القاصرة التي وضعت للإشراف على المخططات والتنمية المعمارية. كما أدى غياب الإشراف إلى ظهور الأحياء العشوائية ذات الظروف الإنسانية الفقيرة والخصائص المعمارية السيئة. وبالإضافة إلى ذلك، فشلت السلطات المحلية في إيجاد الحلول، مما جعل الملامح العمرانية المشوهة صفة أساسية من المشهد المعماري اليوم.

3. الهوية العمرانية في مدينة حلب

مدينة حلب هي من أقدم المدن المأهولة في العالم تقع شمالي سورية وكانت إلى ما قبل الحرب عاصمة الاقتصاد السوري، يسكنها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة، وتعتبر مركزاً حضارياً وثقافياً هاماً. دار فيها صراع عنيف خلال الحرب السورية دمر العديد من مبانيها وأحيائها وبنيتها التحتية.

كانت مدينة حلب عبر العصور مركزاً تجارياً ونقطة لتلاقي القوافل المحملة بمختلف البضائع مما أكسبها غنىً حضارياً لاحتكاك أهلها بالعديد من الشعوب. حيث كانت مركزاً هاماً للصناعة والتجارة بين الغرب والشرق، بالإضافة إلى الفنون والحرف اليدوية النادرة التي جعلت منها مقصداً للسياح من مختلف بقاع الأرض.

والمدينة القديمة في حلب واحدة من أجمل وأكبر المدن العربية والإسلامية التي حافظت على نسيجها التراثي وعمارتها الفريدة. وقد ارتبطت عمارتها ارتباطاً وثيقاً بالنشاطات الاقتصادية التي نمت وازدهرت في ربوع هذه المدينة العريقة لآلاف السنين. حيث تعاقبت على المدينة حضارات عديدة تركت بصمتها في الطابع العمراني والمعماري المتنوع المتناغم.

1.3. الهوية العمرانية في مدينة حلب القديمة

المدينة القديمة هي المركز التاريخي لمدينة حلب، وتتألف من المنطقة التاريخية التي نشأت وتطورت ضمن الأسوار بالإضافة إلى الأحياء التي نشأت خارجها في فترة لاحقة. وتشتمل المدينة القديمة على نسيج مبني تاريخي يشتمل على مبانٍ أثرية، وهي السجل الحي لحضارة الشعب الذي عاش فيها بكل قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما أنها مسجلة كموقع للتراث العالمي كما هو موضح في **شكل (2).**

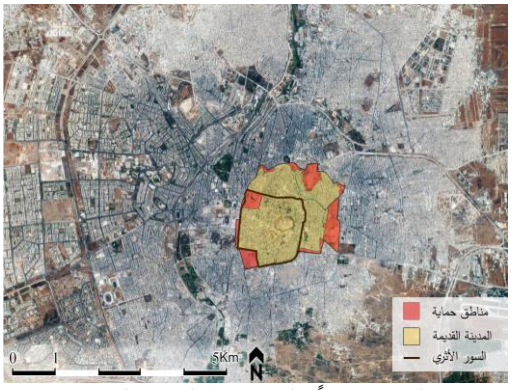

شكل(2): خريطة حلب موضحاً عليها حدود المدينة القديمة. بتصرف الباحثة. [7]

تكونت البيئة العمرانية في حلب قديماً من نسيج مبني عضوي، وشرايين الحركة، وقد كان النسيج التقليدي العضوي المتضام الذي يتألف من أبنية متلاصقة تنفتح نحو الداخل وأزقة ضيقة والذي تميزت به حلب القديمة الحاضنة الأمثل لنمط الحياة الاجتماعية التي نمت وتطورت داخله، فالمباني والشوارع والأشجار لم تكن مجرد مكونات للبيئة المبنية بل كانت صميم روح المجتمع وكانت أساس التجربة المشتركة في الانتماء للمدينة. وفي ذلك النسيج ارتقى المجتمع من حالة التعايش إلى مرحلة أسمى حيث يصهر وجود الأفراد في كيان موحد.

وتتم الحركة في المدينة القديمة عبر مسارات تقليدية تتدرج في تصنيفها بحسب وظيفتها. وكما هو موضح في **شكل (3) وشكل (4)** يمكننا أن نلاحظ ثلاثة تصنيفات رئيسية لمسارات الحركة التقليدية في المدينة القديمة[1].

- طرق رئيسية تسمح بالدخول لمركز المدينة.
- الطرق الثانوية المستعملة للتجول بين الأحياء.
- الأزقة المؤدية للمنازل.

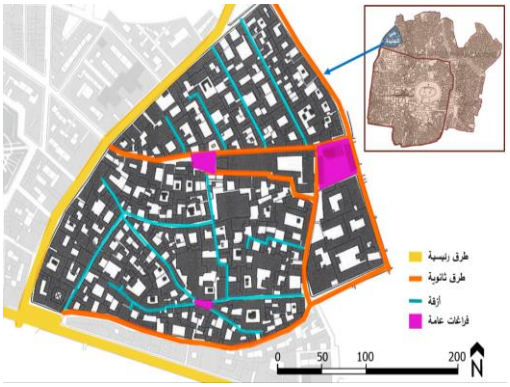

شكل(3): تصنيف مسارات الحركة في حي الجديدة في حلب القديمة.

شكل(4): لقطات توضح تصنيف الطرق في منطقة الجديدة بحلب القديمة. بتصرف الباحثة. [8]

2.3. أهم الأحداث التي مرت بها مدينة حلب منذ أواخر العهد العثماني وحتى ما قبل الحرب

في أواخر العهد العثماني وبالتحديد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حدث انفتاح كبير على الغرب، ومع حلول العام 1920 وقعت سورية تحت الانتداب الفرنسي، مما انعكس على طابع مدينة حلب وترافقت هذه الفترة مع حدوث تغيرات في نمط الحياة ودخول السيارات إلى المدينة، بالإضافة إلى استخدام مواد وتقنيات بناء جديدة، كل ذلك أدى إلى تحولات جذرية في المبادئ الرئيسية في التخطيط والعمارة والإنشاء متأثرة بالنمط الأوروبي في العمارة وتخطيط المدن، وتمثلت هذه التحولات في التالي:

- ظهور أحياء حديثة غربي المدينة تتبع نمط تخطيط المدن الأوروبي، بشوارع عريضة مستقيمة مشجرة، عوضاً عن الأزقة الضيقة والمنكسرة التي كانت سائدة في مدينة حلب سابقاً.
- انفتاح الأبنية الجديدة نحو الخارج بنوافذ زجاجية كبيرة عوضاً عن انفتاحها على الصحن الداخلي، وقد ساعد في ذلك ظهور أساليب إنشاء جديدة تعتمد على مقاطع الحديد الكبيرة عوضاً عن الأساليب التقليدية كالتسقيف الخشبي وغيرها، كما سمح ذلك بتشييد أبنية بطوابق متعددة، كما في **شكل (5).**
- كما شيدت محطة للقطار سميت محطة بغداد، موضحة في **شكل (6)**، وأنشأ خط الترام الذي يربط بين الأحياء الجديدة آنذاك، كما في **شكل (7).**

وهكذا فقد أدت التغيرات في نمط التخطيط وأساليب الإنشاء إلى تحول جذري في طابع المدينة.

شكل(5): لقطات توضح الأثر الأوروبي الكبير في طابع مدينة حلب في أواسط القرن العشرين. بتصرف الباحثة. [4]

شكل(6): محطة بغداد في حلب. [5]

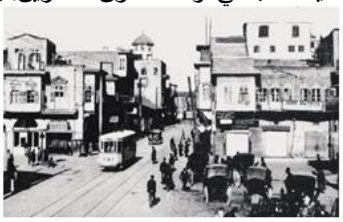

شكل(7): خط الترام في حلب. [6]

وبعد الاستقلال شهدت سورية قفزة نوعية في الاقتصاد والصناعة مما أدى إلى نمو المدن وتوسعها بشكل كبير، وفي مدينة حلب استدعى هذا النمو المتزايد توسع المدينة بشكل كبير خارج المدينة القديمة، الذي ترافق مع انتقال الفعاليات الصناعية والاقتصادية والإدارية وحتى السكنية إلى المناطق والأحياء الجديدة.

كما زادت الكثافات السكانية في مدينة حلب بشكل كبير ومن أسباب هذه الزيادة المفاجئة:

- هجرة سكان الأرياف إلى المدينة.
- هجرة سكان المدن الصغيرة إلى مدينة حلب.

وقد ترتب على هذه الهجرة زيادة الطلب على المنازل منخفضة السعر للعائلات ذات الدخل المحدود، وترافقت هذه المرحلة مع تبدلات كبيرة في البنية الاجتماعية للمدينة. حيث بدأت العائلات تفضل الانفصال والاستقرار في منازل مستقلة على عكس ما كان عليه الوضع سابقاً من سكن العائلات الكبيرة المكونة من مجموعة من العائلات الفرعية في بيت عربي كبير. كما بدأ سكان حلب القديمة بالانتقال نحو الأحياء الحديثة آنذاك.

وقد حصلت تدخلات كبيرة في المدينة حيث قام مخططو المدن الأوروبيون بوضع مخططات تنظيمية لمدينة حلب. اتصفت هذه المخططات الجديدة بما يلي:

- تحديث المدينة استناداً لمبادئ تخطيط المدن الأوروبية.
- تركز الاهتمام على الأجزاء الغربية من المدينة وتهميش المناطق الشرقية التي كانت آخذة بالنمو آنذاك.
- إغفال أهمية المدينة القديمة كمنطقة ذات قيمة تراثية لها اعتبارات خاصة، مما تسبب بضرر كبير على النسيج المبني القديم والبنية الاجتماعية.

3.3. التغيرات التي طرأت على الهوية العمرانية للمدينة القديمة

مع التوسع السكاني وتغير نمط الحياة لم تعد الطرق الرئيسية تفي بالغرض، كما أن الحاجة إلى وصول السيارات إلى مركز المدينة دفعت بالمخططين لشق الطرق أمام السيارات مما أدى إلى تغير النمط العمراني على طرفي هذه الشوارع الجديدة، وظهرت مخططات (كمخطط غوتون 1954 ومخطط بانشويا 1974) الموضحة في **شكل (8)**، وفيها مقترحات لشق الطرق في قلب المدينة القديمة بشوارع عريضة تخترق النسيج الحي وكأنها تخترق أرضاً فارغة وبالرغم من أن هذه المخططات لم تنفذ إلا بشكل جزئي إلا أن أثرها على النسيج القديم كان مدمراً. وتم تعريض بعض الشوارع الموجودة سابقاً، والتي كانت بالأصل محوراً رئيسياً. ولكن تحويل هذه الطرق من طرق للمشاة والعربات إلى طرق للسيارات تسبب بمشاكل ناتجة عن اختلاط أنواع الحركة المختلفة، واختناقات مرورية كثيرة.

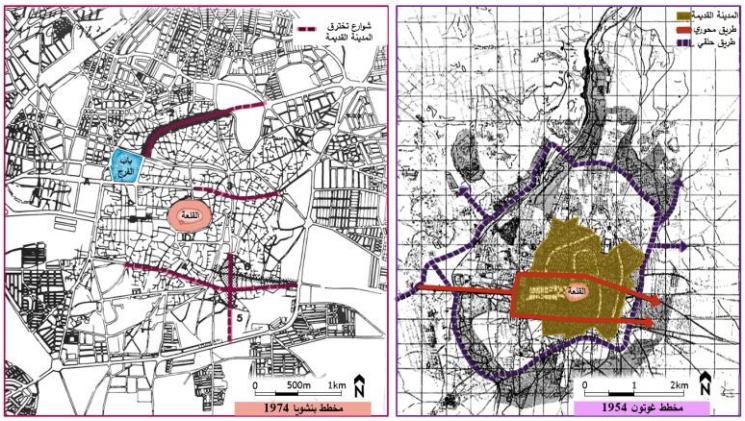

شكل(8): مخطط غوتون، ومخطط بنشويا. بتصرف الباحثة. [2]

كان لهذه المخططات التي تسببت باختراق الشوارع الحديثة كبير الأثر على النسيج المبني للمدينة القديمة حيث غيّر وجهها العمراني وتسبب بظهور الأبنية الطابقية على طرفي الشارع وظهرت هذه المباني غريبة في وسط المدينة القديمة. كما أن مخططات التطوير أغفلت أهمية النسيج التقليدي وتسببت بهدم أجزاء واسعة منه كمشروع باب الفرج الموضح في **شكل (9)** و**شكل (10)** والذي استدعى قيامه أعمال هدم مدمرة بحق مبانٍ ذات قيمة معمارية وتاريخية وأثرية لا تعوض، وأدى المشروع إلى فقدان التوازن في المنطقة بين النسيج التقليدي والنسيج الحديث.

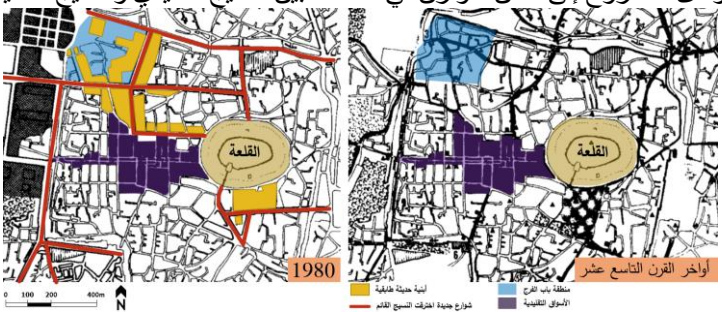

شكل(9): مخطط لحلب القديمة يوضح التبدلات في النسيج العمراني بسبب تنفيذ مشروع باب الفرج وغيره من المشاريع التي أغفلت الأهمية التراثية للمدينة.

شكل(10): لقطات حديثة تبين إحد الشوارع الذي اخترق النسيج التقليدي في حلب القديمة وأدى إلى تغيير النمط العمراني، بتصرف الباحثة. [8]

وأصبحت بذلك البيوت التقليدية عبارة عن جزر منعزلة تحدها العمائر المرتفعة مما أثر سلباً على هذه البيوت وخنقها بحجب الضوء والهواء عن أفنيتها الداخلية كما أفقد هذه الأفنية والتي هي متنفس المنزل خصوصيتها حيث أصبحت نوافذ العمائر المرتفعة تطل عليها كما هو موضح في **شكل (13)**، وقد اضطرت هذه المشاكل الكثير من سكان البيوت التقليدية إلى هجر منازلهم وكنتيجة لذلك بدأت الوظيفة السكنية لهذه البيوت التقليدية تتحول إلى وظائف أخرى تعليمية كالمدارس أو رياض الأطفال أو سياحية كالفنادق والمطاعم كما في **شكل (12)** أو صناعية كالورشات والمخازن كما في **شكل (11)**.

شكل(11): تحول البيت التقليدي إلى مستودع[9]

شكل (12): تحول البيوت التقليدية إلى مطاعم وفنادق [9]

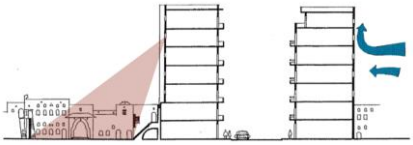

شكل(13): أثر العمائر المرتفعة على البيوت التقليدية. بتصرف الباحثة. [1]

شكل(14): مقارنة بين مخطط مدينة حلب القديمة أواخر القرن التاسع عشر ومخططها حديثاً، وتوضيح أثر اختراق الشوارع الحديثة للنسيج المبني التاريخي. بتصرف الباحثة. [9]

وبالمقارنة بين مخطط حلب القديمة أواخر القرن التاسع عشر ومخططها حديثاً كما في **شكل (13)** يتضح أثر الشوارع الحديثة وضخامة حجم التدمير في النسيج الأثري واقتطاع أجزاء من المباني التاريخية الهامة كخان الوزير، وظهور المباني المرتفعة غريبة في قلب النسيج التاريخي مما كان له كبير الأثر على الطابع والهوية والتركيبة الاجتماعية للمدينة القديمة.

4.3. الهوية العمرانية للأحياء التي ظهرت خارج المدينة القديمة

وإذا ما نظرنا إلى الأحياء الحديثة التي ظهرت غربي المدينة القديمة يمكننا أن نلاحظ الاختلافات الكبيرة في النمط العمراني وفي الطراز المعماري وبالتالي في طابع وهوية الأحياء القديمة والحديثة، ويظهر هذا الاختلاف في مقارنة بين حي الجديدة داخل حدود المدينة القديمة والذي نشأ في العهد المملوكي، وبين حي العزيزية الذي ظهر خارج حدود المدينة القديمة ملاصقاً لحي الجديدة في القرن التاسع عشر، فحي الجديدة يتألف من نسيج عضوي يشتمل على دور تقليدية ذات أفنية داخلية ومسارات الحركة فيه عبارة عن أزقة

ضيقة متعرجة، بينما في حي العزيزية فإن النسيج العمراني هو نسيج منتظم والأبنية تتألف من عدة طوابق وتنفتح النوافذ والشرفات على الشوارع المستقيمة العريضة، كما هو موضح في **شكل (15)**.

شكل(15): مقارنة بين حي الجديدة وحي العزيزية، من حيث النسيج العمراني وطابع الأبنية والطرقات. إعداد الباحثة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين تم البدأ ببناء مشاريع إسكان جديدة عكست الطراز الشيوعي، تركزت شمالي وشرقي مدينة حلب، وكانت موجهة للطبقات ذات الدخل المحدود **شكل (16)**. وفي سبعينيات القرن العشرين بدأت مشاريع الجمعيات التعاونية السكنية في أحياء غربي المدينة وكانت موجهة لذوي الدخل المرتفع كما في **شكل (17)**. وتنفيذ هذه المشاريع أدى إلى فصل المدينة بناء على الحالة الاقتصادية للسكان. واستمرت مدينة حلب بالنمو والتطور حتى بداية الحرب السورية عام حيث اندلع الصراع داخل المدينة نهاية عام 2012.

شكل(16): مساكن لذوي الدخل المتوسط والمنخفض شرقي حلب. [8]

شكل(17): الجمعيات السكنية غرب حلب لذوي الدخل المرتفع. [8]

4. استنتاج أسباب التحول في الهوية العمرانية لمدينة حلب:

بدراسة وتحليل المخططات وأهم التغيرات التي طرأت على مدينة حلب يتمكن البحث من تحديد أهم الأسباب التي أثرت على الهوية العمرانية للمدينة كالتالي:

1. الأثر الاستعماري على العمران والعمارة إبان الانتداب الفرنسي أدى وبشكل كبير إلى تغير طابع المدينة، وقد أصبحت فيما بعد القيم العمرانية والمعمارية الأوروبية هي مصدر الإلهام لمشاريع التطوير والتنمية حتى في مراحل بعد الاستقلال، مما أدى إلى فرض عمارة غريبة واستنساخ أشكال وبنى لا تتلاءم مع الطبيعية المحلية للمدينة.
2. شق الشوارع الحديثة في قلب المدينة القديمة أدى إلى تغيير النسيج المبني في المدينة وكان له الأثر الأكبر في تغيير الهوية العرانية وتدهور المنطقة وقد أثر بشكل مباشر وغير مباشر على العمران والعمارة في تلك المناطق، حيث ظهرت المباني المرتفعة على طرفي الشوارع الحديثة واختلطت حركة المشاة والسيارات وانتهكت خصوصية الدور التقليدية وتدهورت الظروف المناخية والصحية بسبب فرق الارتفاع الكبير بين البناء التقليدي والحديث.
3. كما كان للهجرة من الريف إلى المدينة أثر كبير أيضاً حيث كان معظم الوافدين من الريف من أصحاب الدخل المحدود مما أدى إلى تغير الوظيفة السكنية في الدور التقليدية أوتقسيمها، بالإضافة إلى تغير استعمالات المباني التاريخية مما أساء إليها. بالإضافة إلى هجرة سكان المدينة القديمة الأصليين إلى الأحياء الحديثة توقاً لحياة معاصرة تختلف عما ألفوه في المدينة القديمة التي أصبحت في نظر بعضهم تقليدية مستهلكة. هذه الهجرات أدت إلى تغيير العامل السكاني والاقتصادي في

المدينة القديمة كما أدت إلى فرز سكاني قوي بحسب مستوى الدخل في المدينة الحديثة وبالتالي ظهور أحياء للأغنياء وأخرى للفقراء اتسمت بالعشوائية وتردي الأوضاع الإنسانية فيها.

4.كان لإهمال القضايا التراثية والثقافية لفترات طويلة آثار سلبية على كل من التراث المبني باعتباره سجلاً حياً لتاريخ المجتمع وباعتباره الحاضنة لعادات وتقاليد وتراث لا مادي قيّم، مما أدى إلى تدهوره وفقدان الكثير من المباني التاريخية والمعالم الهامة، كما كان لذلك الإهمال آثاراً سلبية على النتاج العمراني والمعماري الحديث الذي جاء غريباً عن مجتمعه، حيث أن تهميش هذا التراث وإغفال دوره أضاع على المعماريين والمخططين فرصة استغلاله كمصدر متجدد للإلهام وإبداع قابل للتطوير، بحيث يكون الناتج عمارة معاصرة تحمل روح المجتمع وقيمه وتحافظ على هوية المكان.

شكل(18): أسباب تحول الهوية العمرانية لمدينة حلب.

5. النتائج والتوصيات

1.5. النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج توضح أهم مظاهر مشكلة الهوية العمرانية في المدينة العربية كالتالي:

- يلاحظ في المدن العربية اليوم افتقادها لهوية عمرانية ومعمارية ومن أهم مظاهر هذه المشكلة أن معظم المباني مشيدة على الطراز الغربية ومستنسخة من نماذج عالمية.
- كما يلاحظ انتشار العشوائيات في بعض المدن بشكل كبير وسوء وتردي الأوضاع في هذه العشوائيات.
- كما تعاني المدن العربية من فقدان أو تدهور جزء كبير من تراثها المبني الذي يعد سجلاً حضارياً قيماً.

كما أنه وبعد دراسة حالة مدينة حلب وتحليل المخططات والبيانات المتعلقة بالتغيرات العمرانية في المدينة وربطها بتغيرات الهوية العمرانية توصل البحث إلى النقاط التالية:

- بدأت بعض التغيرات العمرانية والمعمارية تحدث في مدينة حلب منذ أواخر العهد العثماني، ثم وقعت فيما بعد تحت الانتداب الفرنسي ومن ملامح هذه التغيرات الانفتاح الكبير على الغرب والتطور الصناعي، بالإضافة إلى ظهور الأحياء الجديدة غربي المدينة، وإنشاء المباني الطابقية التي تنفتح على الشارع بنوافذ كبيرة، وإنشاء محطة القطار وخط الترام.
- كما حدثت تحولات كبيرة في المدينة بعد الاستقلال، حيث تم تحديث المدينة وفقاً لمباديء التخطيط الأوروبية واستمرت الأحياء الحديثة غربي المدينة بالنمو والتطور، ولكن أهمل التراث المبني والمدينة في هذه المرحلة. وقد استمر الأثر الاستعماري حيث ظلت العمارة الأوروبية هي مصدر الإلهام للمشاريع الجديدة في المدينة.
- وبدراسة الظروف الاجتماعية والتطر التاريخي للمدينة تمكن البحث من حصر أسباب مشكلة الهوية العمرانية في مدينة حلب بأربع نقاط رئيسية:
  - أثر الاستعمار على العمران والعمارة.
  - هجرة سكان الريف إلى المدينة وهجرة سكان المدينة القديمة نحو الأحياء الحديثة.

- شق الشوارع الحديثة في قلب النسيج التاريخي.
- إهمال قضايا التراث والثقافة والهوية.

2.5. التوصيات

تمكن البحث من رصد أهم ملامح وأسباب مشكلة الهوية العمرانية في المدينة العربية القديمة ولذلك يوصي بمجموعة من النقاط من أجل حماية هوية هذه المدن العريقة كالتالي:

1.2.5. توصيات خاصة بالمخططين العمرانيين والمعماريين

- إعطاء الأولوية لقضايا التراث والثقافة والهوية باعتبارها قضايا لا تنفصل عن عمران وعمارة المدينة والمجتمع ولكون التراث مصدر غنياً للاستلهام ولخلق عمارة معاصرة بروح محلية.
- البحث أثناء العملية التخطيطية والتصميمية عن حل المشاكل البيئية والاجتماعية، والابتعاد قدر الإمكان عن منهج "القص واللصق" والذي يقوم على أخذ الأفكار والمشاريع من سياقها الغربي دون أو اعتبار للظروف المحلية.
- احترام التراث المبني وضرورة الدراسة المتأنية للمشاريع التي تقام في قلب النسيج التاريخي ومعرفة تأثيرها على المدى البعيد، والسعي لأن تكون هذه المشاريع متوافقة ومتناغمة مع النسيج الموجود لا متنافرة غريبة عنه.

2.2.5. توصيات خاصة بالجهات المعنية وصانعي القرار:

- صياغة التشريعات التي تكفل حماية التراث المبني ومنع التعدي عليه ومنع إقامة المشاريع المسيئة للنسيج التاريخي، والرقابة والإشراف المستمر لمنع حدوث التعديات في المباني والمناطق الأثرية.
- سن التشريعات والقوانين ووضع آلية لتطبيق هذه القوانين مع الرقابة والإشراف الدائمين من أجل منع ظهور العشوائيات.
- الاهتمام بإقامة المشاريع السكنية المخصصة لذوي الدخل المحدود مع تقديم التسهيلات اللازمة.
- توجيه الاهتمام نحو تطوير المناطق المهمشة ورفع سوية الخدمات والبنى التحتية والارتقاء بالمستوى المعيشي فيها.

3.2.5. توصيات خاصة بوسائل الإعلام:

- وضع خطة إعلامية لتعريف المجتمع بأهمية التراث بكافة أشكاله المادية واللامادية، وتركيز الاهتمام على التراث المبني ووجوب المحافظة عليه وصيانته وعدم التعدي على المباني الأثرية.
- تعريف المواطنين بالتشريعات المتعلقة بالحفاظ على التراث المبني والمباني الأثرية، وعلى ضرورة ضبط أي إساءة أو تعدي على هذا التراث.
- تسليط الضوء على القضايا الثقافية المتعلقة بمفهوم الهوية وأهمية انتماء الفرد لمدينة تتمتع بملامح وصفات مميزة.

المراجع

[1] ديفيد، جان كلود - حريتاني، محمود ،(2010) المدينة القديمة في حلب: التدهور ومحاولات الإحياء، حلب.
[2] حجار ، عبد الله ، (2010) معالم حلب الأثرية، دار شعاع، حلب.
[3] Abdelsalam, Tarek, (2002) Architectural Identity in Eastern Arab Cities, West Yorkshire.
[4] photos.aleppousblog.com 10/01/2018
[5] discover-syria.com 12/01/2018
[6] commons.wikimedia.org 12/01/2018
[7] Google Earth 2017
[8] mapio.net 13/01/2018
[9] books.openedition.org/ifpo/6621 10/01/2018

JES, Assiut University, Faculty of Engineering, Vol. 46, No. 4, July 2018, pp.476–486

THE TRANSFORMATION OF URAN IDENTITY IN OLD ARAB CITIES: THE CASE OF ALEPPO, SYRIA

ABSTRACT

In the past, old Arab cities had a strong identity and distinctive urban and architectural characteristics. Nowadays, some of those characteristics are still visible in the historical urban texture showing Arab architecture's great adaptability to environmental and social circumstances. However, the rapidly changing lifestyle can affect urban form and built heritage of those cities, that's why redevelopment and reconstruction projects pose a real threat to city's identity. Therefore, this paper aims to observe the change in urban identity of Aleppo city through analysing the result of modern interventions to achieve a better understanding of what causes the transformation of urban identity.

Keywords: Urban Identity – Arab Architecture – Built Heritage – Urban Transformation – Architectural Style – Urban Texture.